الارض

خبر في الارض أوحتهُ السما لاولي العلم برُسْل الفِكرِ

أنَّ هذي الارض كانت أولا ما ترى بحراً بها أو جبلا
أو سهولاً أو ربىً أو سبلا أو رياضاً زهرها الغض نما
من سحاب جادها بالمطر

انما كانت كتلك الاخوات من نجوم سائرات دائرات
حول شمس هي احدى النيرات كنَّ من قبلُ عليها سُدُما
كتلةً واحدة في النظر

ثم بعدُ انفصلت من ذا السديم قِطَع منها صغير وجسيم
ضمنَ أفلاكٍ بها الدورَ تديم فاستقر الكل فيها أنجما
حول غير الشمس لم تستدر

أولاً نبتون منه انفصلا ثم أورانِسُ يهدي زحلا
ثم للمشتري مرّيخ تلا ثم هذي الارض فالزهرة ما
بعدها غير أخيها الاشهر

وأخو الزهرة بالشمس اقتدى ولها أقربَ سيارٍ غدا
وهي سارت خلفهُ طول المدى فامامَ الارض ذاتَ انتظما
خلفها المريخ ثم المشتري

أرضنا كانت لظىً مشتعله مذ من الشمس غدت منفصله
لم تزل في دورها منتقله كتلةً فيها اللهيب احتدما
وهي ترمي في الفضا بالشرر

كان فيح النار منها مصمدا وَهَجاً في الجوّ عنها مبعدا
حيث لا يمكن ان ينعقدا فوقها منهُ بخارٌ دِيَما
هاطلات بالحيا المنهمر
بقيت حيناً وهذا أمرُها وهي بالاشعاع يخبو حرّها
وانثنى يبرد من ذا ظهرها فاكتست قشراً يحاكي الأدَما
واستمرت بطنها في سُعُر
ثم قد صار على مرّ الزمان قشرها يغلظ آناً بعد آن
بَيْد ان النار عند الهيجان قد أعادت قشرها منخرما
بصدوع مدهشات البصر
شخصت أطراف هاتيك الصدوع بجبال شمخت منها الفروع
ولها في العين أشكال تروع تقذف الافواه منها حُمما
صار منهن ركام الحجر
حصلت من قذف هاتيك المواد حيث يجمدنَ جبال ووهاد
وركاز وصخور وجماد بعضها دقّ وبعض غظما
وهو صلب الجسم صعب المكسر
وهناك انعقدت فيها الغيوم من بخارٍ كان في الجو يعوم
ردّه البردُ مياهاً في التخوم فجرى السيل عليها مغما
كل غور فوقها منحدر
عبها السيل فغطى حين سال سطحها مجترفاً منها الرمال
فطما الماء ولكن الجبال شخصت في الماء لما ان طما
وعلت كالسُّفُن فوق الابحر

غمر الماء بها ما غمرا ثم خلّى بعضها منحسرا
محدثاً في السطح منها جُزُرا أنزل الماء بها ما حطما
من طُغال وحتات المدر
يسيل الماء كم فيها أرتكم من رمال رسبت فيها أكم
ولكم خدّت أخاديد وكم قد بنت من طبقات عَلَما
نضدت فيه صفيح المرمر
ثم صارت وهي من قبلُ موات تصلح الاقطارُ منها للحياة
فانبرت تنبت في البدء النبات ثم أبدت من قواها النسما
وارتقت فيها لنوع البشر
فغدت اذ ذاك تزهو بالرّياض وبها الادواح تنمو في الغياض
ثم ترميها أكف الانقراض بانحطام حيث تمسي فحما
حجرياً بمرور الاعصر
من حطام الخلق في الارض هضاب كونتهن أكف الانقلاب
ما تراب الارض والله تراب انما ذاك حطامٌ قدُما
من جسوم باليات الكِسر
كم على الارض رفات باليات من جسوم طحنتها الدائرات
فاحتفر في الارض تلك الطبقات تجد الانقاض فيها رمما
هي للاحياء أو للشجر
كل وجه الارض للخلق قبور خفف الوطء على تلك الصدور
والعيون النجل منهم والثغور انما أنت ستفنى مثلما
قد فنوا والموت دامي الظُّفُر

ظلت الارض على كرّ الدهور تُبحر الاجيُل فيها والبحور
فوقها تُجبل والماء يغور وعلى ذاك استدل الحكما
بجبال السمك المستحجر
علماء الارض لم تبرح ترى حيوان البر لما دثرا
منه في الابحر أبقى أثرا وكذا في البرّ الفى الملما
أثراً من حيوان الابحر
كل ما في الارض من قفرٍ وبيد وجبال شهقت فوق الصعيد
عن زهاء الربع منها لا يزيد وسوى ذلك منها انكتما
تحت ماء البحر لم ينحسر
في صعيد الابحر المنغمس مثل ما يوجد فوق اليبس
من جبال نائشات الارؤس ووهاد تستزل القدما
وربى مختلفات القدر
ما نرى اليوم من الماء الحميم والبراكين التي تحكي الجحيم
ومن الزلزال ذي الهول العظيم دلّ ان الارض فيما قدما
ذات جرم ذائب مستعر
كل ما كان بحال السيلان فهو يغدو كرة بالدوران
وكذاك الارض في ماضي الزمان كروياً قد غدا ملتئما
جرمها من سيلان العنصر
ثم ان الارض من قبل الجمود ولدت منها وليست بالوليد
قمراً دار عليها بسعود وجلا في الليل عنها الظلما
فهي بنت الشمس أم القمر

بغداد معروف الرصافي